

الافراط في الوقاية كالتمريط فيها

ذهبنا بالامس الى دار الحيوانات في بستان الجزيرة لثري ما زاد فيها وما نقص منها فوجدنا الأطباء تسرح وتمرح على جاري عاداتها والاسد والذب والنمر والقروذ الصغيرة كل منها ساكن في قفصه راض بما قسم له من رخاء العيش ولو في سجن وثيق . واما الارانغ اوتان الانسان الوحشي فقد قضى نجيته وبقية زوجته يُترغ في ارض قفصها شجرة ملولة كأنها تندب إليها او تشكو ائفال الحياة . ثم فتشتنا عن الاناعي في اقفصها بل بيوتها الزجاجية فلم نجد منها في قيد الحياة الا واحدة او اثنتين . وعدنا الى قفص الارانغ اوتان فوجدناه مغطى بالواح الزجاج الأجانبا صغيرا منه كأن حراسها ظنوها عادة هيفاء يخافون عليها من برد الظهيرة ونحن الأدميون كدنا نقتع من حرها . وتبين لنا حينئذ ان حراس هذه الحيوانات قد ارتكبوا الخطأ الشائع وهو اتقاء البرد ولو باستنشاق الهواء الفاسد وغفلوا عن ان الحيوانات التي يجرسونها ولدت وعاشت في الخلاه هي واسلافها من قبلها الوقا من الاعوام وراثتها وابدانها معتادة استنشاق الهواء المطلق الخالي من كل شائبة فلا تحتمل استنشاق غيره ولا تستطيع التغلب على ما في الهواء المحصور من جراثيم الفساد واصول الامراض

وقد اطماننا الآن على مقالة مسهبه للدكتور اوسوله الاميركي ذكر فيها خبر فردين قتل الاعشاء المفرط احدهما واحيا الامال الشديد الآخر وهاك المخلص ما قاله في هذا الشأن وُضع الفرد الاول في دار الحيوانات واعتني بامرِه اعشاء لا مزيد عليه فوضع له كرسي هزاز في قفصه وادوات كثيرة ليروض بدنه بها ووضعت له مائدة ليتناول الطعام عليها واخثير طعامه من اجود المأكول واصحها وانعمها وقُدِّم له في ساعات معلومة كل يوم . وكان القفص واسعا نظيفا وروعت فيه شروط النظافة اتم المراعاة حتى قيل انه فردوس في ما خلا الثمرة المنهي عنها

ولكن خيف على هذا الفرد من البرد فأحيط قفصه بالواح الزجاج الثخين لكي لا تدخله نسمة باردة وجعل الحراس يحمون الهواء ويدخلونه فيه لكي تبقى حرارته على درجة واحدة تقريبا . وقد نسوا ان هواء الحراج التي كان فيها في بلاد الكنفو بأفريقية يختلف حرته بين النهار والليل من ١٠٥ درجات بميزان فارنهایت في الساعة الثانية بعد الظهر الى ٥٥ درجة بقيد نصف الليل

ولمّا أتى بهذا القرد الى تلك الدار كان على جانب عظيم من القوّة والنشاط وكان يحير الناظرين اليه بحفّة حركاته وقوّة عضله فانه كان يترجم ساعات متوالية ولا يكل ولا يتعب ولكن لم تمض عليه ثلاث سنوات حتى قلت حركته وضمفت قابليته للطعام وصار يستلقي على ظهره ساعات متوالية لا يبدي حراكاً بعد ان كان يأبى السكون دقيقة . واشتدّ الحرُّ يوماً فقلق واضطرب وجعل يرمق رفاقه المقيمين في اقفاص مفتوحة لا زجاج حولها بعين النيرة ان لم يكن بعين الحسد كأنه طفل مسكين رأى الموائد مبسوطة لاولاد الاغنياء وهو يتضور جوعاً . وبدت على وجهه امارات الهم والغم فقال حراسه انه مصاب بسوء المضم ولم يختر لهم انه مصاب بمرض في رئتيه لانهم قالوا انه يستحيل ان يصاب بهذا المرض ونحن قد وقيناه من كل نسمة باردة . ولم يدروا ان الزائد اخو الناقص وان الافراط في الوقاية كالتفريط فيها . ولم تطل عليه ايام الشدة حتى اسلم انقاسه واستراح من متاعب الحياة

واستدعى رؤسائه دار الحيوانات جماعة من الاطباء ليشرحوه ويعالجوا علة موته فوجدوا انه مات بداء السل وان رئتيه مشحوتتان بالترنن

ولما جيء بهذا القرد الى دار الحيوانات جيء بقردين آخرين الى ولاية اخرى ولم يتيسر لصاحبها ان يصنع لها قفصاً كبيراً كالفنص الذي مات فيه القرد الاوّل فاطلقها في بستانه وكان فيه بيت صغير فاوبا اليه . والبستان على اكمة عالية طيبة الهواء مطلقة من الجهات الاربع يبلغ ارتفاعها اثنى قدم عن سطح البحر ويشدّ البرد فيها ولا سيما في فصل الشتاء حتى تسد الثلوج طريق المركبات . فاقاما في ذلك البستان سنة بعد اخرى الارض فراشهما والسما غطاؤهما . ولم يمتن بطعامها ولا بنظافة بيتها . وبلادها التي ولدا فيها من اشد البلدان الافريقية حرّاً وقد نقلنا منها الى بلاد باردة في مدى شهر من الزمان ولم تستعمل واسطة من الومائط لتدفئتها لا صيفاً ولا شتاء . وهما في نوعها من القرود الشكسة الاخلاق الشديدة الحرّد وكان الاولاد يجتمعون حولها ويستعملون كل واسطة لازعاجها ومع ذلك كله ازداد ا صحة ونشاطاً لان الهواء البارد النقي عوضها عما خسراه باختلاف الاقليم ولم يزالا حين نشيطين الى الآن وسببتيان كذلك الى ما شاء الله

ومنذ بضع سنوات هربت قردة من دار الحيوانات في فصل الخريف واقامت شهراً في البرية ثقتات ممّا تجده من يابس الاعشاب . وطاردها صياد بكلايو فقبض عليها

وردّها الى دار الحيوانات ولكنها افلقت بعد برهة وجيزة وهربت واقامت في الخلاء شهراً آخر مع شدة البرد والزمهرير واكتسأه الارض بالثلوج واخذراً افنت كلاب الصيد آثارها على الثلج وقبضت عليها وقتلتها واستخرج الاطباء رثتها فوجدوها سليمتين ليس فيهما الا ثلاث درنات صغيرة حدثتا فيها حينما كانت محبوسة ثم شفيتا لما افلقت وعاشت في الخلاء . ويتضح من هذه الحوادث وامثالها ان الهواء المطلق ولو كان بارداً كالثلج او ابرد انقع للحمة وألزم للحياة من الهواء المحصور ولو كانت حرارته كحرارة البدن

ثم ذكر الدكتور اسولد حديثاً مختصراً جرى بين الدكتور فردرجر النمساوي وبعض الأطباء منذ خمسين عاماً . قال الاطباء انك قد شفيت كثيرين من داء السل أفلا تجد سبيلاً لشفاء ابن نبوليون الاول فقال لم قد كان ذلك ممكناً لولم يكن ابوه نبوليون اما الآن وابوه معبود كالألهة فلا سبيل لشفائه . فقالوا أنظن ان الحكومة تضنّ عليه بواسطة من الوسائط فقال كلاً ولم يخطر ذلك بيالي وانما حياة هذا الولد اثمن كل حياة عند ذويه ولذلك يفرطون في وقايتهم . والوقاية المفرطة هي التي ستودي به ويتشكى على ذلك ما ذكره الدكتور باج في الجزء الاخير من جريدة الهيبين وذلك ان امرأة ارملة قالت له ان زوجي لم يلبس قفصان الصوف الا في السنة التي مات فيها فاني اقمته بلبسها في خريف تلك السنة ومسرت جداً لانه اتقاد الي وعمل بطمبي ولم يكن معروضاً للزكام قبل ذلك فاصيب بزكام شديد بقي معه الشتاء كله ثم مات بذات الرئة في فصل الربيع . فقال لها لا شبهة في انك سبب موته ولو لم يكن ذلك عن قصد منك . لا لان لبس قفصان الصوف يعرض الابدان للزكام بل لان الجسم الذي اعتاد تحمّل برد الشتاء ومقاومته بنصرف عن ذلك اذا لم يرَ موجباً له فاذا اشتد البرد ليلة والجسم عارٍ من تلك القمصان انخرقت وظائفه عن مجراها وتمكّن الزكام منه

وجملة القول ان الانزاع في الوقاية كالتفريط فيها . وان ما اعتاده الجسم لا يحسن صرفه عنه ولا سيما اذا كان مما يقوي الصحة ويدفع المرض . فمن شبّ على نوع من المعيشة سواه كان في المأكل او المشرب او الملبس او المأوى ولم يجد منه ضرراً فهو جدير بالمواظبة عليه وان لحقه منه ضرر واراد التحول عنه وجب ان يتحول رويداً رويداً لا دفعة واحدة

